خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٤ جمادى الآخرة بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن ربكم سبحانه قد قال قولاً كريماً، وأقسم قسَماً عظيماً، وربنا العظيم سبحانه إذا أقسم بشيء فذلك يدلّك -يا عبد الله- على عِظم ما فيه، فقال ربنا سبحانه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

فأقسم الله ﷻ بالنفس التي هي الإنسان، وبتسويتها، فالله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وسوّاه وأكرمه، فحقّاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨].

سبحان الله! سبحان الله! يا أيها الإنسان ما أجهلك! حيث تعصي الله ﷻ وهو الذي خلقك! فما الذي خدعك في ربك الكريم الذي أنعم عليك بكل النعم، حتى فسقتَ عن أمره، وتجاوزتَ حدوده؟

أتهاوناً منك في حقوقه؟ أم احتقاراً منك لعذابه؟ أم عدم إيمانٍ منك بلقائه وجزائه؟ أم هي قسوة في قلبك قادَتْكَ لعصيان ربك؟ أم شهوة في بطنك أو فرجك جعلتك لا تستحيي من ربك؟ أم أن هواك أضلّك وأعماك، وأخرجك من طاعة مولاك فأشقاك؟

ألم يكن لك في نفسك آية، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١]؟ ألا تعلم -ألا تعلم هداك الله- أن الله ﷻ هو الذي خلقك، فسوّاك في أحسن تسوية، وركّبك تركيباً قويماً معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، وركّبك في أحسن صورة، بلطفه بك، وإحسانه إليك؟ وكان قادراً سبحانه أن يجعلك على غير تلك الصورة الحسنة.

ألا فتذكّر -يا عبد الله-، وأفِق من غفلتك، والذكرى تنفع المؤمنين، واعلم أن ربك الذي أنعم عليك بتلك النعم العظمى لم يخلُقكَ عبثاً، و لم يترُككَ هملاً، بل كلَّفك، وألهمك، وعلَّمك فجور نفسك وظُلمها وفِسقها، لتحذر منه وتبتعد عنه بعداً شديداً، وألهمك وعلَّمك تقوى نفسك وطاعتها، لتكون من أهلها المحافظين عليها، فبعث لك الأنبياء والمرسين عليهم السلام، فهداك النجدَين -طريق الخير وطريق الشر-، وركَّب فيك ما تُدرك به ذلك، وتَفهم به ما تُخاطَب به، كما قال ربنا سبحانه: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس:٨]، وكما قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد:٨-١٠]، وأمرك ربك بلزوم التقوى، وجعل في ذلك فلاحك، ونهاك عن الفجور، وبيّن لك أن في ذلك خسرانك.

فكل نفس -يا عباد الله- في الدنيا عاملة متحركة، فساعيةٌ في تزكية نفسها لتكون من المفلحين في الآخرة والأولى، ومتّبعةٌ لشهواتها وأهوائها لتكون من الخائبين الخاسرين، كما قال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٩-١٠].

فأفلح -وربّ الكعبة- من زكّاها بالتوحيد، وبالطاعة، وبالصبر عليها، وبالبعد عن المعصية، وبالصبر عنها، وخاب وخسر من أخفاها وأخفى خيرها بالظلم، والبعد عن الطاعة، والإكثار من المعصية.

واعلم رعاك الله -واعلم رعاك الله- أن من جاهد نفسه في الدنيا وزكّاها، وأطَرَها على الخير أَطْراً، ونهاها عن الهوى، وصبّرها عنه صبراً، كان له الفوز يوم القيامة، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه:٧٥-٧٦].

فاحرص -رعاك الله- جاهداً على تزكيتك لنفسك، ولا تتزكّى النفس -يا عباد الله- إلا بمحبة كتاب الله، وكثرة تلاوته وتدبُّره، فتدبُّر القرآن مفتاح القلوب، كما قال ربنا سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

والقرآن -يا عباد الله- يهدي لكل خير وأحسنه، كما قال ربنا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩].

فلا تحرم نفسك -يا عبد الله- قراءة القرآن وتدبّره، واجعل لك من كتاب ربك نصيباً في يومك وليلتك.

ولن تتزكّى نفسٌ -يا عباد الله- إلا بمحبة النبي ﷺ، وتحقيق اتّباعه، وكلما عظم اتباع المسلم لنبيه ﷺ كلما ترقّتْ نفسه في التزكية، كما قال ربنا سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

فنبيّنا ﷺ رحمةٌ مهداة، ونعمة مهداة، بعثه الله ﷻ ليزكّينا، فيطهّرنا من الشرك بالله وعبادة الأوثان، وينمّي خيرنا بدلالتنا على عبادة ربنا، ويطهّرنا من رذائل الأخلاق، ودنَس النفوس، وأفعال الجاهلية.

ووالله -يا عباد الله- لن نكون أزكياء طهرة إلا بتحقيق اتباعه ﷺ، فاتَّبِعْ -رعاك الله-، فاتَّبِعْ -رعاك الله-، فاتَّبِعْ -رعاك الله- هُداه، والزَم خُطاه، إن أردت أن تدخل في قول ربك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس:٩].

واحرص -رعاك الله- على كثرة سؤال الله أن يزكّي نفسك ، فلو لا الله ما زكا أحد، لو لا الله ما زكا أحد، لو لا الله ما زكا أحد! كما قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور:٢١].

ولذا -يا عباد الله- كان نبيّنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد ﷺ يُكثر من سؤال الله أن يزكّي نفسه، فكان يقول في دعائه: «اللهمّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها، اللهمّ

إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها».

فهنيئاً -عباد الله- هنيئاً لمن سعى في تزكية نفسه، هنيئاً -عباد الله- لمن سمع فعلم، وعلم ففهم، وفهم فلزم، ليكون من المفلحين في الدنيا والآخرة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أسوة المؤمنين، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين، ورضي الله عن آله المطهَّرين، وصحابته الأخيار الطيّبين، أما بعد فيا عباد الله:

إن تزكية النفس التي يكون بها فلاحها في الدنيا والآخرة إنما تكون بالإكثار من طاعة الله، والبُعد عن معاصيه، كما قال ربنا ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون:١-١١].

أولئك هم المفلحون -يا عباد الله-، الذين يزكّون أنفسهم بأداء حق الله، بطاعته والبعد عن معاصيه، وبأداء حقوق خلق الله، بمعاملتهم المعاملة الحسنة، وأداء حقوقهم التي وجبت لهم عليهم.

فاتقوا الله -عباد الله-، وجاهدوا أنفسكم، فإن الدنيا دار الجهاد والعمل، وإن الآخرة دار الجزاء، فإما نعيم مقيم، وإما عذاب وجحيم، أعاذني الله وإياكم من العذاب والجحيم.

فاتقوا الله -عباد الله-، وحقّقوا توحيد ربكم، وجرِّدوا اتباعكم لرسولكم ﷺ، والزموا الطاعة -والزموا الطاعة- وأكثروا منها، وابتعدوا عن المعاصي، فإن الدنيا فانية، وإنها سريعة الزوال، وإنه لن يرافقكم بعد دنياكم إلا العمل، فاجتهدوا -رحمني الله وإياكم- لعلنا أن نكون من الفائزين.

ثم اعلموا أن الله ﷻ أمركم بأمر كريم، تعلو به درجاتكم، وتزكو به أنفسكم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ واحدةً صلّى الله عليه عشراً».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنا معهم بمنِّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين، ورضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين، ورضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين، ورضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نسألك -اللهمّ إنا نسألك- بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعلنا من عبادك المرحومين، ونستعيذ بك أن نكون من المرجومين، اللهمّ إنا نسألك أن نكون من عبادك المرحومين، ونعوذ بك أن نكون من المرجومين، اللهمّ إنا نسألك أن نكون من عبادك المرحومين، ونعوذ بك أن نكون من عبادك المرجومين.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، كما جمعتنا في هذه الفريضة المباركة، في هذا البيت من بيوتك، نسألك أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً.

اللهمّ يا ربنا، لا تجعلنا نفقد حبيباً ولا قريباً في الجنة، ولا تجعلنا مفقودين في الجنة يا رب العالمين، اللهمّ لا تجعلنا مفقودين في الجنة يا رب العالمين، اللهمّ لا تجعلنا مفقودين في الجنة يا رب العالمين.

اللهمّ زكِّ أنفسنا، اللهمّ زكِّ أنفسنا، اللهمّ زكِّ أنفسنا، اللهمّ زكِّ أنفسنا، اللهمّ زكِّ أنفسنا.

اللهمّ ما علمته فينا من خير فثبِّتنا عليه واقبله منا يا رب العالمين، وما علمته فينا من سوء فطهِّرنا منه يا رب العالمين.

اللهمّ لا تقبض أرواحنا إلا وقد رضيت عنا، اللهمّ لا تقبض أرواحنا إلا وقد رضيت عنا وكتبت لنا رحمتك، اللهمّ لا تقبض أرواحنا إلا وقد رضيت عنا وكتبت لنا رحمتك يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في كل نعمة أنعمت بها علينا، اللهمّ بارك لنا في عافيتنا، وبارك لنا في أهلينا، وبارك لنا في ذرياتنا، وبارك لنا في أرزاقنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في بلادنا، وبارك لنا في ولاة أمرنا، واجعلهم رحمةً علينا، وحبِّبنا فيهم وحبِّبهم فينا، اللهمّ يا ربنا -اللهمّ يا ربنا- إن عزموا على رشد فقوِّهم وأعِنهم عليه، وإن دلّهم دالٌّ على غير ما تحب وترضى اللهمّ فكرِّههم فيه يا رب العالمين، اللهمّ فكرِّههم فيه يا رب العالمين، اللهمّ فكرِّههم فيه يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.